توفيق الحكيم

النائبة المحترمة

مكتبة علي بن صالح الرقمية

توفيق الحكيم

النائبة المحترمة

من وحي الحركة النسوية

مسرح

1950

كتب أونلاين
كتب للجميع

مكتبة علي بن صالح الرقمية

المنظر الأول

(حجرة طفل في الرابعة من عمره ... وهو جالس في سريره الصغير، بملابس النوم ... وإلى جانبه أبوه ... على مقعد ... في ثياب البيت ... والساعة تدق التاسعة مساء.)

الطفل: كم دقت الساعة يا بابا؟

الأب: التاسعة ... موعد نومِك فات ... يا ميمي ... يجب أن تنام في الحال.

الطفل: لا أريد أن أنام الآن.

الأب: يجب أن تنام ... أغمِض عينيك.

الطفل: ليس في عينيَّ نوم.

الأب (نافد الصبر)**:** وما العمل؟

الطفل: لماذا تريد منِّي أن أنام؟

الأب: لأني لا أستطيع أن أبقى بجوارك طول الليل ... ألم ترَ المحفظة الكبيرة التي جئتُ بها اليوم؟

الطفل: ماذا فيها؟

الأب: أوراق ... عمل مصلحي ... لا بد من إنجازه ... نم ... أرجوك ... هل تُحبني؟

الطفل: نعم.

الأب: كثيرًا؟

الطفل: كثيرًا جدًّا ... أكثر من براغيت الست!

الأب (مأخوذًا)**:** براغيت الست؟!

الطفل: نعم ... ألَا تعرفها؟ إنها أصغر من «البونبون» الذي تُحضره لي ... ولكني أُحبها أكثر من «البونبون» ... أتعرف من أين اشتريتُها؟ ... من الرجل الذي يسير بالعربة الصغيرة أمام البيت، وينفُخ في النفير.

الأب (كالمُخاطِب نفسه)**:** أهذه الحلوى نظيفة؟

الطفل: نعم ... أتريد أن تذوق منها؟

(يحاول النزول من سريره ... فيمنعه الأب برفق.)

الأب: ابق في سريرك ... ابقَ ... كل ما أريد منك يا ميمي هو أن تنام.

الطفل: تريد أن أنام؟

الأب (بعجلة ورجاء)**:** نعم يا ميمي.

الطفل: قُصَّ عليَّ حكاية ... وأنا أنام ... هكذا تفعل ماما ... أين ماما الليلة؟

الأب (بغير انتباه)**:** في البرلمان.

الطفل: ما هذا؟

الأب: لن تفهم الآن ما هو ... عندما تكبُر ستعرف.

الطفل: أريد أن أعرف الآن.

الأب: سَلْها هي عندما تحضر.

الطفل: ومتى ستحضر؟

الأب (كالمخاطِب نفسه)**:** الله أعلم متى ... هذا يتوقف على جدول الأعمال.

الطفل: ماذا تقول يا بابا؟

الأب: لا شيء ... لا شيء.

الطفل: ربما كانت ماما في السينما ... ذهبت بدوني ... لترى الفيل وخرطومه الذي يحمل به الأشياء ... والببغاء ذات الألوان الحمراء والخضراء والصفراء ... لقد أخذَتْني مرة ... فرأيت كل ذلك ... ولكن الببغاء لم تكن في السينما، محبوسة في القفص ... كما رأيتُها في حديقة الحيوان ... بل كانت مُنطلقة في مكانٍ واسع به أشجار ... نعم رأيتها كذلك في السينما ولكني نمتُ بعد ذلك ... ولم أشاهد ماذا جرى.

الأب: نمِ الآن أيضًا يا ميمي أرجوك!

الطفل: قُصَّ عليَّ الحكاية أولًا.

الأب (في حيرة)**:** أي حكاية؟

الطفل: الحكاية التي تعرفها ماما.

الأب: لا أعرفها.

الطفل: وماذا تعرف إذن؟

الأب (في يأس)**:** لا أعرف شيئًا!

(التليفون يرن في الخارج ... وهو ذو حبلٍ طويل ... فلا يلبث الخادم أن يظهر وهو يحمِله إلى ربِّ البيت.)

الخادم: الست في التليفون!

(ويسلم السماعة لسيده ... ويضع آلة التليفون على منضدة ويخرج.)

الأب: آلو ... نعم يا عزيزتي ... ميمي لا يزال مُستيقظًا. لا يريد النوم بدون حكاية ... ماذا تقولين؟ ... أنا أقُصَّ عليه؟ حكاية الفيل والببغاء؟! ... لا أعرفها ... ماذا؟ أخترع له؟ ربنا يقدرني! ... وأنت؟ أين أنت الآن؟ في البهو الفرعوني! ... شيء جميل جدًّا ... في الاستراحة ... مفهوم! ... ومتى تحضرين؟ ... لا تعرفين بالضبط ... مناقشة ميزانية وزارة الأشغال. ماذا إذن؟ ... آه ... استجواب عن مشروع تعلية

خزان جبل الأولياء ... طبعًا ... طبعًا ... معلوماتك الفنية ضرورية جدًّا في هذا الموضوع ... أفندم؟ ... أخرس؟ ... خرست وقطعت لساني!

(يضع السماعة بكل هدوء.)

الطفل (مُشيرًا إلى التليفون)**:** هذه ماما؟

الأب: هي بعينها.

الطفل: ماذا كانت تقول لك؟

الأب: قالت لي أن أقُصَّ عليك حكاية الفيل والببغاء.

الطفل: نعم ... نعم ... قصَّ عليَّ هذه الحكاية.

الأب: إنها حكاية طويلة إذا داعب جفنك النوم، وأنا أحكيها فنَم.

الطفل: ابدأ من أولها.

الأب (محاولًا أن يُهيئه للنوم)**:** ضع أولًا رأسك على الوسادة! ... وأغلق عينَيك نِصف إغلاق ... هكذا (يُعطيه المثل).

الطفل (يُقلده)**:** هكذا؟

الأب: نعم هكذا ... وإيَّاك أن تتكلَّم أنت ... دعني أنا أحكي.

الطفل: احكِ يا بابا.

الأب: تريد حكاية عن الفيل والببغاء ... حكاية جديدة طبعًا ... آه يا ربي! ... ماذا أقول له؟ ... كان هناك فيل ... فيل له خرطوم.

الطفل: كلُّ فيلٍ له خرطوم يا بابا.

الأب: طبعًا ... طبعًا هذا ما أقصد ... ألَم أوصِكَ ألَّا تتكلَّم أنت؟ ... أغمِض عينَيك قليلًا ... نعم هكذا ... كان الفيل يمشي في طريقٍ مُتَّسع به أشجار ... وكانت هناك

شجرة عظيمة ... وكانت تحت الشجرة ببغاء حمراء خضراء صفراء ... تريد أن تُثرثِر ... وأن تُظهر فصاحتها ... فلمَّا رأت الفيل فرِحت وقالت له: سعِدْتَ صباحًا أيها الفيل ... ماذا جئت تصنع ها هنا؟
فقال لها الفيل من فوق الشجرة: جئتُ أبحث عن الماء.

الطفل (مُقاطعًا)**:** وكيف يكون الفيل فوق الشجرة؟!

الأب: أنا قلتُ ذلك؟

الطفل: نعم ... ألَمْ تقُل الآن أنَّ الفيل قال لها من فوق الشجرة: «جئتُ أبحث عن الماء»؟!

الأب: أقصد أنه قال لها من تحت الشجرة.

الطفل: وأين كانت الببغاء إذن؟

الأب: ماذا قلت أنا؟

الطفل: قلتَ يا بابا إنها كانت تحت الشجرة.

الأب: لا ... أبدًا ... أقصد أنها كانت فوق الشجرة.

الطفل: وبعدُ ... ماذا حصل؟

الأب: أغمِض عينَيك ... أغمض عينيك.

الطفل: ماذا حصل للفيل؟

الأب: لم يحصُل له شيء ... أقصد أنه جعل يبحث عن الماء فوجد بُحيرة كبيرة ... فيها تمساح ... فلمَّا مدَّ خرطومه ليشرَب من البحيرة، أمسك التمساح بالخرطوم بين فكَّيه ... فقال له الفيل: «ماذا تريد»؟
فقال التمساح: «أمنعك من شُرب الماء.» فقال الفيل: «ولماذا تمنعني؟» ... فقال التمساح: «لأن البحيرة ملكي» ... فقال الفيل: «وأنا من أين أشرب؟» فقال له التمساح:

«اشرب من البحر!» فقال: «وأين البحر؟» فقال له: «ابحث عنه.» فمشى الفيل ... ومشى ... ومشى ... (ينظر في وجه الطفل ويسكت) الحمد لله (هامسًا) دبَّ النوم في عينَيه.

الطفل: وبعد أن مشى ... ماذا حصل؟

الأب: أعوذ بالله! ... ألم تزل مُستيقظًا؟!

الطفل: نعم ... احكِ لي ما الذي حصل ... بعد أن مشى الفيل!

الأب: مشى ... ومشى ... ومشى ... فوجد شيئًا يلمَعُ من بعيد ... فقال: «هذا هو البحر وهذه أمواجه تلمَع في الشمس.» فمشى أيضًا ... ومشى ... ومشى آه (يتثاءب).

الطفل: إنك تتثاءب يا بابا ... أستنام؟!

الأب: لا.

الطفل: إيَّاك أن تنام قبل أن تقول لي ماذا وجد الفيل!

الأب: لم يجد شيئًا.

الطفل: والبحر؟

الأب: لم يكُن هناك بحر.

الطفل: وما هذا الشيء الذي كان يلمع؟

الأب: سراب.

الطفل: سراب؟ ... ما هذا؟ ... ماذا يعني؟

الأب: عندما تكبَر تعرِف ... (يتثاءب).

الطفل: عدتَ تتثاءب يا بابا ... أريد أن أعرف ماذا صنع الفيل.

الأب: مشى عائدًا ... مشى ... ومشى ... ومشى.

الطفل: ولماذا يمشي مرة ثانية؟

الأب: لأنه يجب أن يمشي ... ويمشي ... ويمشي.

الطفل: ليقابل التمساح؟

الأب (وهو يُغالِب النعاس)**:** نعم.

الطفل: ليسأله عن الماء؟

الأب: طبعًا.

الطفل: الببغاء ... ماذا حصل لها؟

الأب: الببغاء؟ ... أي ببغاء؟

الطفل: أنسيتَها؟!

الأب: آه ... حقًّا ... الببغاء ... نسيناها.

الطفل: إنك تنام يا بابا.

الأب: لا ... أبدًا ... الببغاء حقيقة.

الطفل: أين هي؟

الأب: هناك.

الطفل: هناك أين؟

الأب (ناعسًا)**:** في ... البرلمان.

الطفل: البرلمان!

(يُفتَح الباب ... وتدخُل الأم بسرعة ... وهي تلهث.)

الأم (مندفعةً نحو الطفل)**:** ميمي! ... ألم تزل مُستيقظًا حتى الآن؟!

الطفل: نعم يا ماما ... (يُشير إلى أبيه) بابا هو الذي نام!

الأم (تلتفت إلى زوجها)**:** ما شاء الله! ... (تصيح به) عبد السلام، عبد السلام!

الأب (ينتبه فجأة)**:** ماذا؟ ... ماذا حصل؟

الأم: قُلت لك أن تُنيم طفلك ... لا أن تنام أنت!

الطفل: حَكى لي يا ماما حكاية «بايخة» لم تُنِمني.

الأم: أنامته هو طبعًا!

الطفل: قال لي يا ماما إن الببغاء في البرلمان ... أين هذا البرلمان يا ماما.

الأم (وهي ناظرة إلى زوجها)**:** أهو قال ذلك؟!

الأب: ياللمصيبة! ... أأنا قلت ذلك؟

الأم (وهي تُرقد الطفل في فراشه)**:** لا بأس! ... نم الآن يا ميمي ... إذا كنت تُحب ماما ... (تجس رأسه) جبينه ملتهب! ... الولد عنده حرارة!

الأب: حرارة!

الأم: الترمومتر بسرعة! ... كان يجب أن تُدرك ذلك.

الأب: كيف يخطر لي هذا أيضًا!

الأم: إنه مُستيقظ إلى الآن من أثر الحُمَّى ... والقلق ... والأرق.

الأب (كالمخاطب نفسه)**:** الحُمى ... لا بدَّ أنها نتيجة براغيت الست!

الأم: ماذا تقول؟

الأب: لا شيء ... الترمومتر ... أين هو الترمومتر؟!

الأم (مشيرة إلى خزانة ملابس الطفل)**:** في هذا «الدولاب» ابحث في الرفِّ الأعلى.

(التليفون يرن ... يُسرِع الأب إليه، ويتناول السماعة.)

الأب: آلو! ... مَن؟ معالي وزير الأشغال؟ ... موجودة يا فندم! ... (يقول لزوجته هامسًا باحترام) معالي الوزير طالبك في التليفون!

الأم: ماذا يريد؟ ... الاستجواب تأجَّل إلى جلسة الغد ... (تتناول السماعة) معالي الباشا؟ ... الآن؟ ... بعد ربع ساعة؟ ... أمر خطير؟ ... ألا يُمكن تأجيل المقابلة للصباح؟ ... خمس دقائق فقط؟ ... وهو كذلك ... أنا في الانتظار.

الأب (باهتمام)**:** سيأتي هنا الآن؟ ... لا بأس ... دعي لي ميمي ... واذهبي أنتِ لمشاغل الدولة!

(ستار)

المنظر الثاني

(حجرة الاستقبال ... وفي نفس الليلة ... بعد نحو رُبع ساعة ... يدخل الوزير فتستقبله النائبة وزوجها.)

النائبة (وهي تقود الوزير إلى مقعدٍ وثير)**:** تفضل هنا يا باشا.

الوزير: أخشى أن أكون قد أزعجتُك ... ولكن الضرورة!

الزوج (وقد ارتدى ملابس الخارج كاملةً لاستقبال الوزير)**:** مَعاليك شرفت منزلنا الليلة!

الوزير (سائلًا النائبة)**:** حضرته ...

النائبة: زوجي ... عبد السلام حمودة ... مهندس بمصلحة الطرق والكباري.

الزوج: مهندس مدني ... منذ عشر سنوات يا معالي الوزير!

النائبة: عبد السلام ... اطلُب قهوة للباشا.

الزوج: حالًا.

(يخرج مسرعًا.)

الوزير: لماذا لم تُخبريني أن زوجك في مصلحة تابعة لي؟

النائبة: وما الداعي أن أُخبرك؟

الوزير: أمرك.

النائبة: الاستجواب تأجَّل ... فما هو الأمر الخطير يا ترى؟

الوزير: هذا الأمر الخطير هو ...

الزوج (يدخل)**:** حالَا تأتي القهوة ... (يجلس).

الوزير (وهو يراه قد جلس)**:** لم تسألني كيف أُريدها؟

الزوج: سُكَّر مضبوط؟

الوزير: سادة من فضلك.

الزوج (ناهضًا)**:** لحظة واحدة! ... (يخرج مسرعًا).

الوزير (للنائبة في شِبه همس)**:** أنا الذي أريد لحظةً واحدة ... أُحادثك فيها على انفراد ... أسرار السياسة العُليا لا تصحُّ أن تُقال أمام صغار الموظفين!

النائبة: إني مصغية.

الزوج (يدخل)**:** مِن حُسن الحظ أن البنت الخادمة لم تكن قد وضعتِ السكر بعد!

(يريد أن يجلس.)

النائبة: أرجوك يا عبد السلام أن تُلاحظ ميمي ... وأن تُعطيه نصف قُرص أسبرو ...

الزوج (ناهضًا)**:** وهو كذلك.

(يخرج مُتباطئًا.)

النائبة (للوزير)**:** إني مُصغية.

الوزير: الموضوع بالاختصار أنَّ الاستجواب يجب أن يُسحَب من المجلس غدًا.

النائبة: لماذا؟

الوزير: لأنه مجرد مُناورة سياسية من المعارضة.

النائبة: لأنه مُحرج لمركز الوزارة!

الوزير: لأن المعارضة تستغلُّه لا للمصلحة العامة ... بل للتشنيع.

النائبة: هل أنت مُتأكد أن مشروع تعلية الخزان؛ وما سيتكلّفُه من ملايين ... ليس فيه غبن للمصلحة العامة؟

الوزير: ثِقي أن رفع منسوب المياه نصف مترٍ فقط ... تفهمين طبعًا في الهندسة!

النائبة: لا ... بكلِّ أسف ... زوجي هو المهندس.

الوزير: آه ... ولكنك أنتِ المُختصة بالمناقشة في المشروعات الهندسية!

النائبة: شعوري العميق هو أن هذا المشروع على هذا الوضع ليس في مصلحة البلد.

الوزير: الشعور لا يكفي يا سيدتي ... بحَثَت المشروع لجنة فنية لا يرقى الشكُّ إلى كفاءتها وخبرتها.

النائبة: ولكنَّ الحزب الذي أنتمي إليه يُعارض هذا المشروع.

الوزير: نعم ... مع الأسف!

النائبة: ماذا تنتظر منِّي إذن أن أصنع؟

الوزير: أن تُساعِدينا على سحب الاستجواب!

النائبة: وأخون حِزبي؟!

الوزير: ليس في الأمر خيانة على الإطلاق ... إنك تقومين بعمل شخصي ... وتتوسَّطين بصفتك الخاصة ... لقد أدَّت لنا مثل ذلك وأكثر منه وأصعب، كثيراتٌ من حزبك ... زميلتك الشقراء نائبة ...

النائبة: كرموز.

الوزير: نعم ... وزميلتك النائبة المُحترمة الأخرى التي تضع في شعرها مشط نيلون بنفسجي مسخسخ.

النائبة: نائبة شبرا العنب.

الوزير: نعم ... نعم ... المسألة في غاية البساطة ... هذا النائب الشاب الذي قدَّم الاستجواب ... يُحاول دائمًا أن يجلس في الصف الذي تجلسين فيه ... ويُبدي الاهتمام بكلِّ ما تقولين ... وليس غيرك يستطيع أن يُقنعه بسحب الاستجواب.

النائبة: كيف أُقنعه؟

الوزير: بابتسامة!

النائبة (ثائرة)**:** ما هذا الذي تقول يا باشا؟! إنك تُهينُني في بيتي!

الوزير: معاذ الله! ... معاذ الله، إني ما قصدتُ قط إهانة ... ولكنه اقتراح صغير ... تقدَّمتُ به إلى مُروءتك، خدمة للمصلحة العامة.

النائبة: المصلحة العامة ... المصلحة العامة ... أهكذا تُخدَم المصلحة العامة؟ ... وإذا كنتَ تعتقد حقًّا أيها الوزير أن في مشروعك مصلحة عامة، فلماذا تخشى هذا الاستجواب؟!

الوزير: لأن ... لأن الغرَض منه غير شريف.

النائبة: ولماذا لا تكون أنتَ شريفًا بكشْف الأوراق وإعلان الحقائق؟!

الوزير: سِرِّية المشروع ضرورية للتنفيذ.

النائبة: الحكومة التي تُخفي عن البرلمان مثل هذه الأسرار، كالزوجة التي تُخفي عن زوجها ما يجِب أن يعرف عن حقيقة سلوكها وتصرُّفها.

الوزير: منطق نسائي ... لا منطق سياسي!

النائبة: هذا ما أعتقد ... وهذا ما يجب!

الوزير: ثِقي أن الحكومة لا تخون زوجها البرلمان ... بإخفائها عنه تفاصيل بعض الإجراءات ... أنتِ مثلًا ... وكُلنا يعرف أنك زوجة نموذجية ... ألم تخفي عن زوجك شيئًا قط؟

النائبة: لم أَخفِ عنه قطّ شيئًا يجِب أن يعلَمه.

الوزير: برافو!

النائبة: والآن ... هذا كل موقفي ممَّا تريد ... ولا تنتظر منِّي أبدًا أغيِّر هذا الموقف!

الوزير: وزوجك؟

النائبة: ما شأن زوجي؟!

الوزير: مهندس مدني في مصلحة الطرق والكباري.

النائبة: نعم.

الوزير: في أي درجة؟

النائبة: في الدرجة الخامسة.

الوزير: فقط؟! ... منذ عشر سنوات؟ ... هذا وضع غريب ... هذا ظُلم ... عشر سنوات مَنسي في مصلحة الطرق؟! ... في أي طريقٍ من هذه الطرق نَسُوْه؟! ... وأنت كيف تسكُتين عن المطالبة بحقِّه؟ ... وأنت امرأة عمو ... لا مؤاخذة امرأة مُشتغلة بالسياسة العامة!

النائبة: وماذا أستطيع أن أصنع له؟

الوزير: تستطيعين كثيرًا ... ولكنك لا تعرفين ولا تُريدين.

النائبة: لا أريد أن أعرف إلَّا الإخلاص لمبدئي.

الوزير: إنَّ المرأة لا تستطيع أن تُخلص أبدًا لمبدأ ... بل تستطيع أن تُخلِص لشخص!

النائبة: ليس هذا رأيك وحدَك ... إنه رأي الرجال جميعًا ... ورأي الدنيا منذ خُلِقت ... وهذا هو الذي يجعلني أحرِص على مسلكي هذا ... إلى حدِّ العُنف أحيانًا والصرامة والتعصُّب.

الوزير: وما فائدة ذلك ... ما دمتِ بمفردك؟! ... إن غيرك من النائبات المُحترَمات لهن، كما تعرفين، أشياء أخرى يُخلصنَ لها.

النائبة: ماذا تعني؟

الوزير: أنسيتِ المشروع الذي اقترحنَ فيه تخفيض الضريبة الجمركية عن الأحمر والأبيض وأصابع «الروج»، للشفاه، وأدوات التجميل ... والجوارب الحريرية ... والأقمشة النسائية؟!

النائبة: لقد عارضتُ أنا هذا المشروع.

الوزير: لأنك شاذة في تفكيرك.

النائبة: ألستُ على حق؟!

الوزير: لا ... لستِ على حق ... إنك تأخُذين صِفتك النيابية على سبيل الجد، أكثر من اللازِم ... هذا حقًّا عيب المرأة، عندما تُخلِص مرةً لشيء، فإنها تتطرف وتتعصب ... لا تنسَي أن لأسرتك ولزوجك عليك حقوقًا ... إن المصلحة العامة لن تمسَّ منها شعرة، إذا فكرتِ قليلًا في مُستقبل زوجك ... هذا الضال التائه في «الطرق والكباري» ... إنه في حاجة إلى «كوبري» يصِل به إلى الدرجة الرابعة والثالثة ... وفي يدِك أنتِ هذا الكوبري.

النائبة: في يدي أنا؟!

الوزير: الكوبري الذي يُوصِّله إلى الدرجة الثالثة مباشرة ... إن مجلس الوزراء — وأنا أُعطيك تعهدًا بلسانِهِ الآن — يستطيع أن يُسوِّي حالةَ زوجك في الجلسة القادمة بدون تأخير.

النائبة: مفهوم ... إذا ساعدتُكم على سحب الاستجواب!

الوزير: إنَّ الذكاء لا ينقُصُك.

النائبة: مرفوض!

الوزير: ترفضين؟!

النائبة: أرفض!

الوزير: نهائيًّا؟!

النائبة: نهائيًّا!

الوزير (ناهضًا)**:** ماذا كنتِ قبل انتخابك؟ ... مُدرِّسة ... كما بلغني ... في التعليم الثانوي ... نعم ... إنك لا تعرفين الدُّنيا ... لم تعيشي إلا بين جدران المدرسة ... تحسبين البرلمان جدران مدرسة ... لن يكون لك مُستقبل في السياسة ولا في الحياة العامة ... إني لَأُبشِّرك من الآن! ... أرجو أن تُصبحي على خير.

النائبة: أشكرك!

الوزير (على عتبة الباب)**:** إذا غيَّرتِ رأيكِ ... فأخبريني ... في أي ساعة!

(يخرج الوزير ... وتُشيِّعه النائبة ... ثم تعود وترتمي على مقعدٍ وتضع رأسَها في كفَّيها ... ويدخل الزوج من بابٍ آخر يحمل صينية القهوة.)

الزوج (يبحث بعيْنَيه في القاعة)**:** أين معالي الوزير؟

الزوجة (وهي في إطراقها)**:** انصرَف.

الزوج: والقهوة؟

الزوجة: اشربها أنت.

الزوج: أشربها أنا؟!

الزوجة (ثائرة الأعصاب)**:** نعم ... اشربها أنت ... اشربها أنت.

الزوج: طبعًا ... أنا الذي أشربها ... مَن غيري؟ ... لأنها «سادة» ... مُرَّة ... سوداء ... كحياتي وحظي وأيامي.

الزوجة (تلتفِت إليه)**:** لا تنتظِر منِّي أنا أن أضع السُّكر في حياتك.

الزوج (بإذعان)**:** لا سيدتي، لقد طرحتُ من رأسي هذا الأمل ... منذ زمن.

(صمت.)

الزوجة (كالمخاطبة نفسها)**:** إن هذا السُّكَر باهظ الثمن!

الزوج: ماذا تقولين؟

الزوجة: لا شيء.

(صمت.)

الزوج: لو كنتِ على الأقل تُحادثينني مليًّا في أعمالك وما يشغل بالك!

الزوجة: ماذا أقول لك؟! إنك لا تفهم شيئًا في السياسة!

الزوج: طبعًا ... لستُ أفهم شيئًا إلَّا أن أقوم بعمل المُرضعة للولَد بالليل ... وبعمَلِ كناسٍ نظيف في مصلحة الطرق بالنهار ... أما حضرتك ...

الزوجة: حضرتي؟

الزوج: تقومِين بمناقشة الوزراء والحكام ... والمداولة في تصميمات المشروعات والخزانات.

الزوجة: ألن تكُفَّ عن هذه السخرية بي؟

الزوج: لستُ أسخر بك ... بل بنفسي!

الزوجة: ومَن الذي قال لميمي إني ببغاء في البرلمان؟

الزوج: لعلَّه لفظٌ خرج من فمي وأنا نعسان.

الزوجة: بل هذا رأيك دائمًا، أعرِف جيدًا، من يوم ترشيحي للانتخابات.

الزوج: رأيي ... أنا حُرٌّ في رأيي.

الزوجة: دائمًا كنتَ تقول ذلك مُتهكمًا: المرأة في البرلمان ... ببغاء في قفص ... ستحفظ كلماتٍ ممَّا يلُوكه رجال السياسة، كي تُردِّدَها، وهي في ريشها الأحمر والأخضر والأصفر ... من ثيابِ الموسم آخِر «موضة»! ... ألم تقُل ذلك؟ ... ولكنك لم تستطِع التنبُّؤ بالمتاعب التي ستتعرَّض لها النائبة المُحترمة حقًّا ... تلك الشِّباك من المُغريات، التي تُنصَب لها، لتكون ألعوبةً في أيدي الحكومات! ... الكل يعتقد أن النساء سريعات التحوُّل ... سريعات التقلُّب ... ينجرفنَ مع التيارِ بسهولة ... ويتركن مبادئهنَّ للريح ... كما يتركنَ شعورهنَّ على شاطئ البحر يُحركها النسيم ... أصواتهنَّ مكسوبة مُقدمًا لمَن يُلمِّح لهنَّ بإشارة براقة! ... ربما كان هذا صحيحًا بالنسبة إلى أغلب النساء ... لأن تلك التي تُريد أن تثبُت على مبدئها وتُخلِص لحزبها لا بدَّ أن تُضحِّي ... تُضحِّي ... تُضحِّي.

الزوج: تُضحِّي بماذا؟

الزوجة: بأشياء كثيرة!

الزوج: بزوجها؟

الزوجة: هذا هو أهونُ الضرر.

الزوج: شكرًا ... شكرًا.

الزوجة: نعم ... هذا ضرَرٌ هين، أن تبقى في الدرجة الخامسة كما أنت ... بل قد يضغط علينا الوزير أو يسخط ... فينتقِم منك أنت، وينقُلك إلى أقاصي الصعيد.

الزوج: ارحموني يا ناس! ... ما ذنبي أنا؟ ... امرأتي تُشاكِس الحكومة ... وأنا الذي يُنتقَم منِّي ... وأُنقَل إلى آخِر البلاد!

الزوجة: الثبات على المبدأ مُرتفِع التكاليف!

الزوج: المبدأ ...! وما شأني أنا بمبدئك؟! ... وما مصلحتي؟ ... وما منفعتي؟ ... أُنسَى ... وأُمتَهَن ... وأُضطَهَد ... هل إذا جاء حزبكِ إلى الحُكم يُصلِح حالتي؟

الزوجة: أبدًا.

الزوج (منفجرًا)**:** يا للكارثة التي وقعَتْ على رأسي! ... يا لَلمصيبة التي جاءتني بك! ... أيتها النائبة! ... النائبة التي قصمت ظهري!

الزوجة (ترهف الأذن)**:** صه، ما هذا؟ ... ميمي قد استيقظ!

(يدخل الطفل ميمي ... وهو يفرُك عينَيه.)

الطفل: ماما ... ماما!

الأم: ميمي! ... لماذا قُمتَ من فراشك يا حبيبي ... (تحتَضِنه) إنك تتَصَبَّبُ عرَقًا!

الطفل: أريد أن أشرب.

الأم (لزوجها)**:** كوب ماء بسرعة يا عبد السلام!

الزوج (في إذعان)**:** حاضر.

(يخرج وهو يتنهد.)

الأم (تُجلِس طفلها)**:** أنت محمومٌ يا ميمي ... ماذا تُحس؟

الطفل: بطني ...!

الأم: بطنك؟ ... أين؟

الطفل (يُشير إلى معدته)**:** هنا.

الأم (تجسُّ الموضع)**:** هنا؟ ... بماذا تشعُر هنا؟

الطفل: توجعني!

(يدخل الزوج بكوب الماء.)

الأم (لزوجها وهي تتناول منه الكوب لتسقي الطفل)**:** يشعر بألَمٍ في المعدة!

الزوج: من براغيت الست!

الأم: ماذا؟

الزوج: براغيت الست التي يشتريها من أمام الباب ويملأ بها بطنه! ... هذا أهون ضَرَرٍ يُصيبه ... ما دام متروكًا لعناية بنت خدامة صغيرة جاهلة ... بينما الست في البرلمان ثابتة على المبدأ!

الأم: كيف تدَعُه البنت يأكل شيئًا من الطريق ... لقد أوصيتُها مرارًا ونبَّهتها.

الزوج: ماذا تنتظِرين من خادمةٍ لا يزيد مُرتبها عن تسعين قرشًا في الشهر؟!

الأم: إلهي ... ماذا أستطيع أن أصنع؟

الزوج: لو كان زوجك في الدرجة الثالثة ... أما كان لطفلِنا ميمي الآن مُربية مُحترمة ... أيتها النائبة المحترمة!

الأم (بصوت ضعيف مُطرقة)**:** آه يا عبد السلام! ... لا تحاول أن تُضعِفني.

الزوج: لستُ أحاول شيئًا ... هذا حقُّك ... ومن حقك أن تُضحِّي بزوجك ... وبطفلِك!

الأم (تضم طفلها بشدة)**:** ميمي!

الطفل: ماما!

الأم: نعم يا ميمي!

الطفل: أين كنت الليلة؟

الأم: كنت في ... في ...

الطفل: في السينما؟

الأم: لا ... في ... مكان آخر.

الطفل: لماذا لم تأخُذيني معك في هذا المكان؟

الأم: لأني ... لا أستطيع أن آخُذك معي ... هناك.

الطفل: ولماذا تركتِني بالليل؟

الأم: لأني ... لأني ... ألَمْ يكن معك أبوك؟

الطفل: بابا لم يعرف كيف يحكي لي الحكاية ... قُصِّي عليَّ أنتِ حكاية الفيل والببغاء.

الأم (كالمخاطبة نفسها)**:** الببغاء ... (تفكر لحظة ثم تنهض فجأة) عبد السلام ... خُذ ميمي لحظة ... (تضع الطفل في حضنِه).

الزوج: لماذا؟! ... ماذا تُريدين أن تصنعي؟!

الأم: ستعرف الآن (تتَّجِه إلى مكتب صغير في ركن القاعة ... وتكتب خطابًا سريعًا).

الزوج (وهو يُراقبها)**:** إني أَعرِفُكِ ... إنكِ مقْدمة على قرار خطير ... أقرأ كلَّ شيءٍ على صفحة وجهكِ ... قبل أن أقرأه على صفحة خطابك!

الأم: والآن إليَّ التليفون!

(تترك القلم ... وقد فرغت من الخطاب السريع ... وتُمسك السماعة وتدير القُرص.)

الزوج: تطلُبين مَن ... في هذه الساعة؟!

الأم (في التليفون)**:** آلو ... آلو ... معالي الباشا ... مساء الخير ... نعم ... غيرتُ رأيي فعلًا ... ماذا؟ ... إقناع النائب بكل وسيلة ... لا يا سيدي ... لن أتخذ أبدًا هذه الوسائل ... أنت لم تفهم قصدي ... غيرتُ رأيي في حياتي نفسها ... كتبتُ خطابًا إلى رئيس المجلس، أستقيل من عضوية البرلمان ... مفاجأة غير سارة لك؟ ... ولكنها سارة لي ولزوجي ولابني ... أرجو أن تُصبح على خير!

(تضع السماعة ... وتتجه إلى زوجها.)

الزوج (مذهولًا)**:** تستقيلين من البرلمان!

الأم (تمد يدَيها نحو طفلها)**:** أعطني ميمي الآن لأحكيَ له الحكاية.

(ستار)

الفـــــهـــــرس

المنظر الأول
المنظر الثاني